

دور الدعم الاجتماعي المدرك والضغط النفسي المدرك في ظهور المحاولة الانتحارية - تقديم حالة نموذجية -

أ.د. زناد دليلا

أ. وردة بلغازي

قسم علم النفس

جامعة الجزائر 2

ملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على دوري الضغط النفسي والدعم الاجتماعي في ظهور المحاولة الانتحارية، واتضح من دراسة حالة المراهقة "أ" من خلال المقابلة العيادية وتطبيق الاختبارات النفسية أن إدراك الضغط النفسي دور أساسي في المحاولة الانتحارية وكذلك انعدام الدعم الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الدعم الاجتماعي، الضغط النفسي، المحاولة الانتحارية.

Summary :

The current study aims to shed light on the psychological pressure and social support in the emergence of the suicide attempt. It was clear from the study of the case of adolescence "A" through the clinical interview and the application of psychological tests that the realization of psychological pressure is a key role in the suicide attempt as well as lack of social support.

Key words : social support, psychological pressure, suicide attempt.

Résumé:

L'étude actuelle a pour but de faire la lumière sur la pression psychologique et le soutien social liés à l'émergence de la tentative de suicide: il ressort clairement de l'étude du cas de l'adolescence «A» à travers l'entretien clinique et l'application de tests psychologiques que la réalisation de la pression psychologique est un facteur clé de la tentative de suicide ainsi que le manque de soutien social.

Mots clés : pression psychologique, soutien social, tentative de suicide.

1- مقدمة:

تقر منظمة الصحة العالمية (OMS) بأن الانتحار من أهم قضايا الصحة العمومية التي يجب أن تحظى بالأولوية لما يترتب عن هذه الظاهرة من عواقب وخيمة على المجتمعات، إذ يخلف الانتحار في بعض البلدان عددا معتبرا من الضحايا يفوق في بعض الحالات عدد الوفيات الناجمة عن جرائم القتل وحوادث المرور.

عرفت ظاهرة الانتحار في الجزائر مؤخرا منعرجا خطيرا، إذ تشب الإحصاءات الأخيرة على تزايد عدد حالات الانتحار وكذا عدد المحاولات الانتحارية وأن هذه الظاهرة تنتشر بين كل الفئات والشرائح الاجتماعية وتؤكد تقارير المنظمة العالمية للصحة (OMS) لسنة 2015 أنه يتم تسجيل أزيد من 1000 حالة انتحار بالجزائر سنويا، كما أن (OMS) تؤكد على أن الجزائر تحتل الترتيب التاسع في العالم العربي في ظاهرة الانتحار مما يدفع بدق ناقوس الخطر على المجتمع، وأن الانتحار يخدم

_____ دور الدعم الاجتماعي المدرك والضغط النفسي المدرك في ظهور المحاولة الانتحارية

عامة فئة الشباب والمراهقين خاصة منهم الإناث. (منظمة الصحة العالمية، 2015)

تشير الإحصائيات أن حالات الانتحار لسنة 2014 وصلت نسبتها إلى 1.9% لكل 100 ألف شخص، كما تشير إحصائيات سنة 2012 وجود 1108 حالة انتحار أغلبها لشباب ومراهقين خاصة من الإناث، مما يعادل على الأقل محاولة 3 أشخاص يومياً للانتحار، كما تشير إحصائيات مصالح الدرك الوطني لسنة 2011 تسجيل 335 حالة انتحار فعلي و1865 حالة محاولة انتحار.

يظهر التراث الأدبي لظاهرة الانتحار أن الانتحار لا يعد حدثاً مرتجلاً وعشوائياً بل هو دينامية فكرية وسلوكية تنتظم أجزاؤها عبر السنين والأحداث ليبرز كوسيلة للخروج من مأزق أو أزمة في شخص وصل إلى حالة من انعدام الأمل وقلة الحيلة ووقع تحت ضغوط فاقت احتماله وضائق أمام عينه الخيارات أو تلاشت. (فايد حسين، 2004) ويواجه الباحثون صعوبة كبيرة في الحصول على المعلومات الدقيقة الخاصة بالانتحار ومحاولات الانتحار، خاصة في ظل ما يحاط بمثل هذا النوع من القضايا والحوادث من تكتّم وسرية شديدة.

يربط العلماء الانتحار بالنظام الاجتماعي للفرد ويرجعون هذا السلوك إلى ضعف علاقات الشخص بالآخرين، وضعف الروابط الاجتماعية من حوله، أو قوة العلاقات والروابط الاجتماعية بشكل كبير جداً، فتدفع الفرد إلى التضحية بنفسه من أجل الآخرين. في حين يربط بعض الباحثين هذا السلوك بعوامل أخرى مثل زيادة في حالة الاستياء العام لدى الفرد فيقدم على الانتحار أو كراهية الذات والإحساس بالعار والشعور بالذنب، كل هذه العوامل تدفع الفرد إلى الإقدام على الانتحار (وائل حسين يوسف،

2014). وتشير العديد من الدراسات أن للدعم الاجتماعي دور أساسي في الحد من هذا السلوك الخطير، ففي دراسة للباحث "Cohen et al" (1986) استهدفت معرفة ما إذا كان الدعم الاجتماعي المدرك يحمي الأفراد من المزاج الاكتئابي الناشئ من مثيرات للمشقة أم لا، وذلك على عينة من طلاب الجامعة قوامها 609 طالبا. انتهت الدراسة إلى أن الدعم الاجتماعي الذي يدركه الأفراد أنه متاح لهم يؤدي دورا مهما في الوقاية من الآثار السلبية للمشقة. (رضوان شعبان، 2001، ص78) في حين أن نفس النتائج توصل إليها كل من "Botnick et al" (2002) و "Eskin" (1995) و "Lewinsohn et al" (1995) و "Sokero et al" (2003) وكذا دراسة "Veiel et al" (1998) حيث أكدت كل هذه الدراسات على الآثار الايجابية والدور الوقائي للدعم الاجتماعي في المحاولة الانتحارية. وتذهب "خميسة قنون" (2013) إلى أبعد من هذا حيث ترى أن ليس الدعم الاجتماعي هو المهم وإنما إدراك الأفراد لهذا الدعم ومدى توفره هو الذي يخلق لديهم آثارا ايجابية على الجوانب النفسية والبيولوجية.

يلعب الدعم الاجتماعي دورا مهما في التخفيف من الضغوط النفسية ومختلف العوامل السلبية المؤثرة على صحة الفرد كالاكتئاب والحزن واليأس، وفي هذا الإطار أجرى بعض الباحثين سنة (1995) دراسة حول الدعم الاجتماعي وعلاقته بالاكتئاب واليأس لدى عينتين، إحداها من الطلاب تكونت من 242 طالبا وأخرى من العاملين وشملت 86 مبحوثا. وجد أن هناك علاقة سلبية بين الدعم الاجتماعي والاكتئاب وذلك فيما يتعلق بحجم الدعم أو درجة الرضا أو الدرجة الكلية له. (رضوان شعبان، 2001، ص80-81)

من بين المتغيرات الهامة التي تحدد استجابة الإنسان للضغوط الواقعة عليه إدراكه لهذه الضغوط، إذ أن رد الفعل الذي يصدر عن الأفراد يعتمد على كيفية تفسير الفرد أو تقييمه لأهمية الخطر أو التهديد الذي يواجهه، وتقييم هذا الخطر ليس مجرد إدراك بسيط لعناصر الموقف، ولكنه حكم واستدلال يتم فيه جمع البيانات لتشكيل الأفكار والتوقعات وأي تغير في عنصر ما، كخلفية الموقف الذي يتم فيه إدراك المثير، يمكن أن يغير بقوة من تفسير الشخص للموقف. (وليد خليفة، مراد سعد، 2008)

قام "Davidson et al" (1983) بدراسة للبحث عن العلاقة بين استجابة الضغط النفسي وإدراك الفرد تحكمه في الأمور، حيث أظهرت هذه الدراسة أن الحدث الضاغط لا يسبب القلق والتوتر في حد ذاته إنما الأفكار والاعتقادات التي يكونها الفرد.

تشير دراسة "حكيمة آيت حمودة" (2006) إلى أن ارتفاع مستويات الضغط النفسي لدى الشباب الذين كُونوا أفراد عينة بحثها، خاصة لما يتعلق الموضوع بالشباب البطال أو الذي يعاني من ضعف الدخل أو عدمه، وتراكم هذه الضغوط واستمرارها يجعلها مزمنة هذا ما يجعل العديد من الأفراد يميلون إلى المحاولات الانتحارية.

حسب دراسة "Wortman" (1992) فإن التقييم الذي يعتمد عليه الفرد ويبنيه حول الموقف الضاغط والذي يجعل من الوضعية أهمية كبرى أكبر من الحدث في حد ذاته يزيد من خطورة القيام بمحاولة انتحارية. (Wortman, 1992, P89) كما وجد "Rich" (1991) في دراسة حول الضغط النفسي ومحاولات الانتحار (في مجموعات من مختلف الفئات العمرية) أن ضحايا الانتحار من المراهقين يعانون ضغوط نفسية أكثر ممن كانوا أكبر سناً. نفس ما توصل إليه "Kawch et Dudou" (1989)

في دراستهما حول علاقة الأفكار الانتحارية بالضغط النفسي بين الطلبة الذين أقدموا على القيام بالمحاولة الانتحارية، 7% منهم تعرضوا لضغط نفسي أكثر من الذين لم يقوموا بأي محاولة انتحارية، كما توصلوا إلى أن شدة التفكير بالانتحار ترتبط بمدى معيشة الضغوط النفسية. ويتفق هذا مع ما توصلت إليه دراسة "Joiner et Rudd" (1995) وهو وجود ارتباط بين الضغط النفسي والتفكير في الانتحار وذلك بعد فترة متابعة دامت عشرة أسابيع لدى طلاب الجامعة.

يتضح مما سبق أهمية دراسة المحاولة الانتحارية والكشف عما إذا كان لإدراك محاولي الانتحار لمتغيري الضغط النفسي والدعم الاجتماعي دور في بروز المحاولة الانتحارية لديهم، وعليه تفترض الدراسة الحالية أن للضغط النفسي والدعم الاجتماعي المدرك أدواراً أساسية في ظهور المحاولة الانتحارية لديهم.

2. منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي وبالخصوص تصميم الحالة والتي تعد دراسة تحليلية معمقة للظاهرة كما هي موجودة في الواقع، حيث تسمح للباحث بجمع أكبر قدر ممكن من البيانات والمعطيات عن المفحوص، وركزت الباحثة على حالة مراهقة تبلغ من العمر 14 سنة حاولت الانتحار عن طريق تناول كمية كبيرة من الأدوية.

3. وسائل البحث والقياس:

اعتمدت الباحثة على المقابلة نصف الموجهة للكشف عن أسباب المحاولة الانتحارية إلى جانب مقياس الدعم الاجتماعي المدرك المَعَد من

طرف (Forley et Zimet) سنة 1988 واستبيان إدراك الضغط للفنستين 1993.

- مقياس الدعم الاجتماعي المدرك (Forley et Zimet 1988)

صدق المقياس: تم التحقق من صدق هذا المقياس عن طريق المقارنة الطرفية حيث بلغت قيمة t 12.43 وهي دالة عند المستوى 0.01 والمستوى 0.05، مما يدل على الصدق التمييزي لهذا المقياس.

ثبات المقياس: تم التأكد من ثبات المقياس عن طريق التجزئة النصفية حيث تم حساب معامل الارتباط لبيرسون، ثم صحح الطول عن طريق معادلة سبيرمان براون وأظهرت النتيجة النهائية لقيمة معامل الارتباط 0.72 وهي قيمة دالة عند 0.01 مما يدل على ثبات المقياس. (خمسة قنون، 2007، ص76)

- استبيان إدراك الضغط للفنستين (1993):

أعد هذا الاختبار من طرف الباحث Levenstein (1993) بهدف قياس مؤشر إدراك الضغط، ويتكون هذا الاختبار من 30 عبارة تميز منها بنود مباشرة وبنود غير مباشرة.

صدق المقياس: تم التحقق من صدق الاستبيان باستخدام الصدق لتلازمي، الذي يركز على مقارنة مقياس إدراك الضغط مع المقياس الآخر للضغط، أظهرت النتائج أن هناك ارتباط قوي بهذا المقياس مع "سمة قلق" يقدر ب 0,75 ومع مقياس إدراك الضغط "كوهن" Cohen يقدر ب 0,73، بينما سجل ارتباط معتدل يقدر ب 0,56 مع مقياس الاكتئاب بارتباط ضعيف يقدر ب 0,35 مع مقياس "قلق الحالة".

ثبات المقياس: تم قياس التوافق الداخلي للاستبيان باستعمال معامل (ألفا) فأظهر وجود تماسك قوي يقدر ب 0,90، كما أظهر قياس ثبات المقياس باستعمال طريقة تطبيق وإعادة تطبيق الاختبار بعد فاصل زمني يقدر بثمانية أيام وجود معامل ثبات مرتفع يقدر ب 0,80. Levenstein et al, 1993)

4- عرض الحالة:

الحالة "أ" تبلغ من العمر 14 سنة، تلميذة بالسنة الثالثة متوسط، هم أكبر أخواتها، قامت هذه الحالة بتناول كمية من الأدوية محاول الانتحار لأول مرة.

- أجرت الباحثة عدة مقابلات عيادية مع الحالة "أ"، إضافة إلى تطبيق كل من مقياس الدعم الاجتماعي المدرك واستبيان إدراك الضغط.

الحالة "أ" تعرضت لفقدان شخص عزيز منذ سنة وهو والدها الذي كان قريبا جدا منها عكس والدتها، حيث تؤكد الحالة "أ" أنها لا تزال تحت وقع صدمة فقدانها لوالدها وأنها تعاني من الضغط النفسي منذ سنة تقريبا، هذا ما يقابله حصولها على مؤشر إدراك الضغط بدرجة تقدر ب "0,64"، وتدل هذه النتيجة على مستوى مرتفع من الضغط لدى هذه الحالة.

الحالة "أ" كانت شديدة التعلق بوالدها، وبوفاته أضحت وحيدة عن حد قولها رغم وجود والدتها، هذا ما تؤكد إجابتها على البندين (20) واستبيان إدراك الضغط والتي تدل على أنها تشعر بالوحدة والتعب تظهر الحالة "أ" أنها تعاني من المعاملة القاسية من طرف والديها (عاملة) وأنها لا تلقى المساندة من باقي الأسرة، وهذا يفسر حصولها عن

————— دور الدعم الاجتماعي المدرك والضغط النفسي المدرك في ظهور المحاولة الانتحارية

الدرجة "33" وهي درجة منخفضة على مقياس الدعم الاجتماعي المدرك، ويتضح جلياً من خلال إجابتها على البند (3) أن الحالة "أ" تعارض كون عائلتها تحاول مساعدتها، وكذا إجابتها على البند (4) حيث تنفي من خلالها أنها تحصل على المساعدة العاطفية والدعم الذي تحتاجه من عائلتها.

الحالة "أ" تتحمل مسؤولية أختيها في غياب والدتها العاملة إضافة إلى أعباء المنزل مما يجعلها تشعر بالتعب والإرهاق النفسي، هذا ما توضحه إجابتها على البندين (8) و(14) على استبيان إدراك الضغط، الحالة "أ" تعتبر نفسها ضحية للضغط والمراقبة اللذان تمارسهما والدتها عليها حيث أن الحالة تؤكد أنها بحاجة إلى الراحة والهدوء، هذا ما تقابله إجابتها على كل من البنود (1)، (7)، (10)، (25).

5. المناقشة:

من خلال تحليل مضمون المقابلات العيادية مع الحالة "أ" فإن الدافع الحقيقي والكامن وراء محاولة انتحارها هو فقدانها لوالدها الذي كان يساندها ويدعمها من جهة وطريقة معاملة أمها لها من جهة أخرى، وما تمارسه من ضغط يومي ومراقبة عليها حيث أضحت هذه المراقبة مصدراً أساسياً للضغط النفسي لديها، لكن الحالة "أ" لا تدرك أن والدتها تحاول حمايتها بفرض المراقبة عليها لشدة خوفها عليها خصوصاً في ظل غياب والدها.

هذا ما تؤكدته دراسة "choquet" (1989) بأن وجود عامل ضاغط يزيد من خطر الانتحار، فالفرد أمام حدث صدمي أو مفجر يضعه في حالة من

التوتر ويؤدي عجزه لحل الوضعية إلى زيادة التوتر النفسي، الذي يظهر على شكل قلق متزايد واستثارة وزيادة العدوانية والاحساس بالعجز في حل المشكل، مما يسهم في تفاقم الاحساس بالتهديد الذي يسبق المرور للفعل الانتحاري المدرك كمخرج وحيد ممكن من الأزمة، وعليه تعتبر عوامل الضغط المستمرة والحادة من العوامل المعجلة للمرور للفعل الانتحاري.

ويشير "صالح حسن الداهري" (1999) على العلاقة القوية بين الأحداث الضاغطة وطريقة إدراك الفرد لها من خلال تقيّماته وتوقعاته، ومن ثم ظهور السلوك الانتحاري.

في حين توضح أعمال كل من "Rahe" and "Holmes" (1975) و "Theorell" and "Rahe" (1971) و "Lind" and "Rahe" (1967) ودراسة "Stevenson" (1973) أن شدة إدراك الضغط النفسي كثيرا ما تكون سببا في ظهور السلوكات الانتحارية. (حسن عبد المعطي، 1992)

حاجة الحالة "أ" إلى الدعم الاجتماعي بعد فقدان والدها والضغط الممارس عليها جعلها تحاول الانتحار، هذا ما تؤكده دراسة "Janie Houle" (2005) التي خلصت نتائجها إلى أن الأفراد الذين حاولوا الانتحار يتلقون دعم اجتماعي أقل من طرف محيطهم، وهم أقل رضا عن الدعم الاجتماعي الذي حصلوا عليه خلال سنة ماضية حيث أثبتت الدراسة أهمية الدعم الاجتماعي في الوقاية من السلوك الانتحاري. Santé (mentale au Quebec, 2005, P61)

المراجع:

- فايد، حسين (2004): "دراسات في السلوك والشخصية"، الطبعة الأولى، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- حسن يوسف، وائل (2014): "الانتحار بين اليأس والأمل"، مجلة الفيصل العلمية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.
- قنون، خميسة (2013): "الاستجابة المناعية وعلاقتها بالدعم الاجتماعي المدرك والرضا عن الحياة لدى مرضى السرطان"، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر.
- خليفة، وليد السيد أحمد، مراد، علي عيسى سعد (2008): "الضغوط النفسية والتخلف العقلي في ضوء علم النفس المعرفي (المفاهيم- النظريات- البرامج)"، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.
- آيت حمودة، حكيمة (2006): "دور سمات الشخصية واستراتيجيات المواجهة في تعديل العلاقة بين الضغوط النفسية والصحة الجسدية والنفسية"، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر.
- شعبان، رضوان (2001): "العلاقة بين المساندة الاجتماعية وكل من مظاهر الاكتئاب وتقدير الذات والرضا عن الحياة"، مجلة علم النفس، العدد الثامن والخمسون، مصر.
- عبد المعطي، حسن مصطفى (1992): "ضغوط أحداث الحياة وعلاقتها بالصحة النفسية وبعض متغيرات الشخصية"، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، مصر.

- منظمة الصحة العالمية، 2015.

- Cohen, S, Sherrod, D. R, Clark, M. S (1986): "Social Skills and the stress: protective vol of social support", Journal of personality and social psychology, vol (50) No (5), U.S.A.
- Woortman B. et All (1992) : "Psychologie", 4^{ème} édition, Marry Emachall.
- Santé mentale au Quebec, 2005.